

Original Research

مقالة پژوهشي

دراسة الوحدة السياسية للمسلمين من خلال الإتكاء على سيرة الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة

محمد هادي أمين ناجي^١، محمد مهدي جعفري^٢، محمد صابر تيموري^{٣*}

تاريخ القبول: ١٤٤٣/٠٩/٠٩

تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠١/٢١

١. استاذ في في علوم ومعارف نهج البلاغة، جامعة پیام نور، طهران، ايران

٢. أستاذ في في علوم ومعارف نهج البلاغة، جامعة شيراز، شيراز، ايران

٣. طالب الدكتوراه في علوم ومعارف نهج البلاغة، بجامعة پیام نور، طهران، ايران

A research on the Political Unity of Muslims Based on the Thought and Life of Imam Ali in Nahj al-Balagha

Mohammad Haadi Amin Naji¹, Sayd Mohammad Mehdi jafari², Mohammad Saber Taimouri^{3*}

Received: 2021/08/30

Accepted: 2022/04/11

1. Associate Professor of Quranic and Hadith Sciences, Payam Noor University, Tehran, Iran

2. Professor of Quranic and Hadith Sciences, Shiraz University, Shiraz, Iran

3. Ph.D. Student in Nahj-ul-Balagha Sciences and Education, Payame Noor University, Tehran, Iran

10.30473/ANB.2023.65189.1334

Abstract

The affirmations of the Islamic intellectual system and the existence of differences and divisions among Muslims in Islamic countries indicate that a great practical and theoretical effort is needed in the field of unity and determination of the foundations and principles, limits, and solutions to remove them on the part of researchers and sympathizers of the religion. Imam Ali (PBUH) was one of the great Islamic personalities based on his position and high rank among Muslims, who played a significant role in creating Islamic unity and removing the division and disunity. Muslims find a new way for unity based on the theories and lifestyle of Imam Ali (PBUH) in Nahj al-Balagha and Islamic religions and parties have gained esteem by reforming relations with non-Islamic societies and provoking political solidarity and unity among Islamic countries and providing the opportunity with the route of political unity among groups in the past. This research, which has been carried out in a descriptive-analytical method, attempts to express the moderate thoughts and opinions of Imam Ali (PBUH) by avoiding extremes, excesses, and narrowing the area on petrified and bigoted groups on the route of political unity among Muslims. In addition, Imam Ali (PBUH) adhered to the Holy Qur'an, the Holy Prophet (peace and blessings of God be upon him), referring to those in command, and obeying them and moral virtues and eruditions, and preserving freedom as the most important principles and foundations of the political unity of Muslims. The strength, pride, and material and spiritual integrity of the Islamic Ummah will be achieved.

Keywords: Imam Ali (P.B.U.H), Nahj-ul-Balagheh, Unity, Politics, Fundamentals and Principles.

الملخص

تأكيدات النظام الفكري الإسلامي ووجود المنازعات والتفرق بين المسلمين في البلدان الإسلامية، تدل على أنه في ساحة الوحدة وتعيين المباني والأصول، الحدود والحلول لها من قبل الباحثين والمتعاطفين مع الدين، نحتاج إلى السعي النظري والعمل الكثير. لقد كان للإمام علي عليه السلام المكانة والمرتبة العليا بين المسلمين، فهو كان من الشخصيات الإسلامية الكبيرة التي لعب دورا هاما في إثارة الوحدة الإسلامية وإزالة التفرقة والتشتت. بناء على آراء وسيرة الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، يجد المسلمون مسارا جديدا للإتحاد ويحصلون على العزة من خلال إصلاح العلاقات مع المجتمعات غير الإسلامية والإتحاد والتضامن السياسي بين البلدان الإسلامية وتوفير المجال في سبيل الوحدة السياسية بين المجموعات والأحزاب والمذاهب والأديان الإسلامية. هذه الدراسة، التي أجريت بالمنهج الوصفي التحليلي، يسعى أن يعرف الأفكار والآراء المعتدلة للإمام علي عليه السلام والاجتناب عن الإفراط والتفريط وتضييق المجال على المجموعات القشرية والمتعصبة في سبيل الوحدة السياسية بين المسلمين. بالإضافة إلى هذا، الإمام علي عليه السلام، قد اهتم بالتمسك بالقرآن الكريم وسيرة النبي صل الله عليه وآله والرجوع إلى أولى الأمر والإطاعة عنهم والفضائل والقيم الأخلاقية وحفظ الحرية كأهم الأصول والمباني للوحدة السياسية للمسلمين؛ وفي هذه الظروف، يتحقق الاقتدار والعزة والتكامل المادي والمعنوي للأمة الإسلامية.

الكلمات الدلالية: الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، الوحدة، السياسة.

*Corresponding Author: Mohammad Saber Taimouri

Email: sabertaimouri@student.pnu.ac.ir

* نویسنده مسئول: محمد صابر تيموری

المقدمة

يعتبر الاتحاد والانسجام الإسلامى ضرورة هامة ومؤثرة تدلّ المسلمين إلى طريق الوصول إلى العزة والصمود. الإسلام الذي يطرح كالدین الاجتماعى بين الأديان والمذاهب المختلفة، لا يظهر ولايجري قسم أساسى من تعاليمه بل كلّها إلا في قالب الجماعة والاجتماع. على هذا، إنّ النصوص الفقهية والأخلاقية والكلامية وغيرها، يخصّص قسماً هاماً من تعاليمها بموضوع الوحدة والجماعة. النصوص الإسلامية المقدسة، مليئة بالمفاهيم والمضامين التي تدعو المسلمين إلى الوحدة والانسجام وتبعدهم عن التفرقة والاختلاف تصرّحاً وتلويحاً. لقد اعتبر القرآن الكريم في آية (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) (آل عمران: ١٠٣)، الوحدة والألفة نعمة كبيرة تمكّن بها الأمة من النجاة من الذلّة والهلاك والفناء والوصول إلى قمة العزة والشرف. و في آية (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ١٠٥)، قد نحى من التفرقة والتشتت جدّاً. أيضاً يشبه النبي صلى الله عليه و آله، المجتمع الإسلامى بجسد واحد ويقول: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (البخاري، ١٣٦٥: ج ١٠، ص ٥٥١). للوحدة أهمية بالغة، على هذا الأساس، يصف الإمام على (ع)، بالتأسى للنبي صلى الله عليه وآله وآله دورها فيها ويقول: «وَلَيْسَ رَجُلٌ فَاعِلٌ أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةٍ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَلْفَتْهَا مِنِّي» (نهج البلاغة، الرسالة ٧٨).

نظرة عابرة في التاريخ الإسلامى، تدلّ على أنه لا يؤدّي أيّ عامل كالاتحاد والانسجام إلى القدرة والسلطة والمنزلة والتقدّم والترقى للشعوب. من جانب آخر، يعتبر الاختلاف والتفرقة، كأكبر عامل يمنع الخير والرحمة الإلهية من الأمم، كما يقول الإمام على (ع): «وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّنْ مَضَى، وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦). بالنظر إلى المكانة المتميزة للإمام على (ع) بين الشيعة والسنة، فإن فكر وحياة هذا الشخص النبيل يمكن أن يكون نموذجاً

جديراً للوحدة والتماسك الإسلامى. عبدالمعتاد صعيدي، أستاذ جامعة الأزهر، يكتب في مقالة تحت عنوان "على بن ابي طالب والتقريب بين المذاهب والأديان": "هذه فضيلة كبيرة لعلى بن ابي طالب (رضى الله تعالى عنه) الذي كان أوّل من وضع التقريب بين المذاهب، لكى لا يؤدّي اختلاف الآراء والأفكار إلى التفرّق والتشتت ولا ينتشر العداوة بين الطوائف المختلفة، بل مع وجود اختلاف الآراء، تحفظ الوحدة والاتحاد والانسجام بينهم، يعيشوا عيشة أخوية" (بي آزار الشيرازي، ١٣٥٧: ج ١، ص ٢٠٧).

نهج البلاغة، كتاب قيم للإمام على (ع)، هادي ومرشد ومشجّع جيد في إثارة الانسجام والوحدة الإسلامية بين المسلمين. فعلى هذا، في هذه المقالة، نسعى أن نبحت الفكرة والأخلاق والسيرة الممتازة للإمام على (ع) من خلال الاعتماد والالتكاء على نهج البلاغة كنموذج أعلى في الاتحاد والانسجام السياسى بين المسلمين.

خلفية البحث

لموضوع الوحدة والبحث عنه تاريخ طويل وعريق، وقد حُرِّرت كتب متنوعة حول هذا الموضوع والأبعاد النظرية والعملية له في الأدوار المختلفة من الحياة الإنسانية. بالنسبة إلى الوحدة والاتحاد في أفكار إمام على (ع) وسيرته وأخلاقه، كُتبت مقالات وكتب منها:

رباني خواه، أحمد وبورمحمدى، مرضية (١٣٩٥) في مقالة تحت عنوان "طرق وأساليب إثارة الوحدة للإمام على عليه السلام في نهج البلاغة"، مجلة العلوم الإنسانية الإسلامية الشهرية، المجلد الأول، العدد ١١. القضية الرئيسية التي يثيرها مؤلفوا هذا المقال هي أن أعداء الإسلام والدول الإسلامية يحاولون بكل قوتهم تخريب وتدمير وحدة المسلمين، الأمر الذي يجب أن لا يُسمَح لهم أن يصلوا إلى تحقيق هذا الهدف الشرير.

سيزيان، على أكبر (١٣٨٦) في كتاب تحت عنوان "منشور الإتحاد الوطنى والانسجام الإسلامى"، المراجع الأدبى: محمدحسن استادى مقدم، دار النشر: خادم الرضا.

لكنهم ينسون الوحدة عندما يكونون في موضع القوة والقدرة.

في هذا البحث، نحاول أن نبين أصول وطرق الوحدة للمسلمين، من خلال الاتكاء والاعتماد على سيرة الإمام علي (ع).

المفاهيم النظرية

مفهوم الوحدة السياسية بين المسلمين

قد أخذت كلمة "السياسة" من مادة "سوس"، التي تعني: الرياسة والأخلاق والطبيعة، كما يقال: «سأس الأمر سياسة: قام به» (ابن الفارس، ١٣٦٢، ١١٩؛ ابن منظور، ١٣٦٣، ٤٢٩). أيضا "السياسة" يعني بها: الحكم والسيادة والرياسة والمصلحة والتدبير والتربية والتأديب والمحافظة (دهخدا، ١٣٥٢، ذيل مادة السياسة). على الرغم من الاختلافات العديدة، فإن مفهوم السلطة المستمرة يدخل في تعريف العلوم السياسية، وكما قالوا: السياسة بمعناها العام تعني فن إدارة الدولة والحصول على السلطة الاجتماعية (عنايت، ١٩٧٢، ١).

اليوم أهم العملية السياسية بالنسبة إلى المجتمعات الإسلامية خاصة الشرق الأوسط، عبارة عن التنازع والعداوة الدائرة بين الدول الإسلامية، كما أنّ المنازعة طوال عقود أخيرة، قد غلبت على عملية التقارب بين الحكومات والدول والمجتمعات الإسلامية. بوجه عام قد ظهرت هذه المنازعة في مستويين؛ المستوى الداخلي: بين القوميات والفرق المختلفة داخل المجتمعات والبلدان الإسلامية، والمستوى الخارجي: في التعاملات والصلات الدولية. (ولايي وآخرون، ١٣٨٨، ص ١٥٨ - ١٦٣) في هذا الصدد، يبدو أنّه معرفة المبادئ والأسس القرآنية فيما يتعلق بتنظيم العلاقات بين الحكومات والمجتمعات الإسلامية في سبيل التقارب والإنسجام لها أهمية خاصة. لكن الجانب الحالي الأكثر أهمية في النظام الدولي هو وجود النزاعات والصراعات المسلّحة في البلدان الإسلامية سواء على المستوى الداخلي الدولي أو على المستوى الحكومي الدولي. ومن أبرز مظاهرها كما يلي:

الرضوي، سيد حنان (٢٠١٣) في مقالة تحت عنوان "الوحدة والانسجام الإسلامي من رؤية القرآن ونهج البلاغة"، مجلة: فكرة التقريب، السنة الثامنة، شتاء ٢٠١٣، العدد ٢٩. لقد اهتم هذا المقال بمسألة الوحدة من وجهة نظر دينية

إبراهيم خاني، ليلا؛ أسدي، سيد صالح؛ إبراهيم خاني، علي رضا (١٣٩٣) في بحث تحت عنوان "الوحدة من رؤية الإمام علي (ع)"، المؤتمر الدولي للثقافة والفكر الديني.

في هذا البحث تطرق المؤلفون إلى مسألة وحدة المسلمين من مختلف جوانب وقد تم اقتراح الإمام علي (ع) كنموذج.

جمالي زاده (١٣٨٦) في مقالة تحت عنوان: "التوحيد في الفكر العلوي حسب نهج البلاغة"، ويتناول هذا الكتاب الموقف الإيجابي للإمام علي (ع) تجاه الخليفة الأول والثاني و دوره في الدفاع عن الخليفة الثالث ضد المحاصرين.

موسوي، سيدفخرالدين؛ بگرامي قصرجمي، خليل؛ محمدي، جواد (١٣٨٦ش) في مقال تحت عنوان "دور العدل في الوحدة الوطنية والوحدة الإسلامية"، تناول هذا المقال أفكار الإمام علي (ع) السياسية حول النظام السياسي ودور الناس وقادة المجتمع.

الغزالي، محمد (١٣٨٣) في كتاب تحت عنوان "أسس الوحدة الفكرية والفقهية والثقافية للمسلمين"، حدد مبادئ وأسس الوحدة الفكرية للمسلمين بعدة عناوين.

عرفه، محمد (١٣٨٦) في كتاب تحت عنوان "كيف يستعيد المسلمون وحدتهم وسلامتهم"، يتناول هذا الكتاب مباحث حول الوحدة الإسلامية والصحة من منظور القرآن والسنة والأحاديث. ويوجه الاهتمام بالمشتركات باعتبارها المبدأ الأساسي للوحدة.

موتقي، سيداً حمد (١٣٧٧ش) في كتاب تحت عنوان "إستراتيجية الوحدة في الفكر السياسي الإسلامي". القضية الرئيسية في هذا الكتاب هي أن المسلمين يلجأون إلى الوحدة عندما يشعرون بالضعف والخطر،

أنواع الوحدة والانسجام السياسي

ولما كان القرآن الكريم ونهج البلاغة، يعتران قضية الوحدة واجبا بين المؤمنين، فإن هذه المسألة موجودة أيضا في تصنيف الوحدة السياسية التي لا يمكن تصورها خارج إقليم المؤمنين. فعلى هذا، تنقسم أنواع الوحدة السياسية إلى ثلاثة أقسام "الأمم الموحدة"، "الدول المسلمة"، "الدول والمجموعات الموحدة". جدير بالذكر أن للوحدة بهذا المعنى، مفهوم إيماني وجانب إستراتيجي، لذلك لا ينطبق إلا على المسلمين المؤمنين والموحدين، لأنه في حالة الوحدة مع غير الموحدين وغير أهل الحرب، لا يمكن إلا أن يكون هناك تعايش سلمي وتحالف، الذي له مفهوم غير إيماني. "الشهيد مطهري في كتاب "المجتمع وتأريخ"، أكد على أربعة عوامل وعناصر أساسية في مجال عوامل انحطاط المجتمع واستشهد بالآيات القرآنية. منها: "عدم العدالة والظلم والتفرقة والتفرق وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانتشار الفساد". ولعلّ كان لقضية التفرقة والتفرق، أكثر التأثير في انحطاط الأمة الإسلامية. لذلك، تعدّ قضية الاتحاد والاختلاف، في كل أنحاء خطبة "القاصعة" المحور الهام والأساسي الذي أكد عليه الإمام كعامل لنجاح المجتمعات وفشلها (المطهري، ١٣٧٧: ج ٢، ص ٤٨٥).

علاقة المسلمين مع المجتمعات غير الإسلامية

«الإسلام دين الصلح والمصالحة والإحسان والعطوفة والحياة السلمية مع كل الناس في العالم». (الجوادى الآملى، ١٣٨٩: ج ٢٠، ص ١٠٣). إن الأصل في الإسلام هو التصرف بالسلم والمصالحة مع جميع الناس، إلا إذا اعتدى غير المسلمين على المسلمين. إن القرآن الكريم ونهج البلاغة يدعوان المسلمين إلى الوحدة والاتحاد، بل إلى التقارب والوحدة العالمية. فالقرآن الكريم، يهتم بالجوانب المشتركة والوحدة لإيجاد العطوفة وحياة عارية عن العداوة والمنازعة والصراع. كما يدعو إلى التوحيد الذي يكون قاسماً مشتركاً بين أهل الكتاب والمسلمين، كى يزداد الصلح والعطوفة ويقلل من العداوة والبغاء. يقول القرآن الكريم: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ

المنازعات في سوريا والعراق واليمن، ونتيجة لذلك فإن وجود هذه الصراعات الواسعة النطاق قد خلق صورة للإسلام في نظر الغرب وبعض الباحثين، مفادها أن الإسلام ليس لديه خطة محددة للسلام والتكامل، خاصة بين المجتمعات والأمة الإسلامية. لكن من خلال نظرة حقيقية، يمكن أن نستنتج بأن الإسلام دين الصلح والمسالمة، بل له الأصول والمبادئ الواسعة في سبيل التقارب والاتحاد، خاصة التقارب والاتحاد بين المجتمعات الإسلامية، والتي قد ظهرت وتجلت في القرآن الكريم والسنة. "من جانب آخر، في الثقافة القرآنية، للأمن، مفهوم واسع ومتوازن وعميق يشتمل على كل أبعاد الحياة والساحات والمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والداخلية والخارجية. وفي هذا الصدد يؤكد الإسلام على نموذج للأمن يرتبط بالسلطة والتماسك والوحدة وربط المجتمع الإسلامي والقوة الداخلية للمجتمع، ويعتبر أن شرط الأمن هو القوة الداخلية للأمة الإسلامية بالإضافة إلى بُعد الأمن الخارجى. (إبراهيمي وآخرون، ١٣٩٣: ٨). السياسة في فكر على (ع) تعنى التوجيه والقيادة. السياسة هي إدارة الشؤون وتوفير الأسس اللازمة لإصلاح الناس من خلال توجيههم نحو سعادة هذا العالم والنجاة في الآخرة، كما أنّ أميرالمؤمنين على (ع) يرى السياسة الصحيحة والصالحة هي سبباً رئيسياً لإقامة العدل والصواب وإصلاح شؤون الناس، وقال: «حُسْنُ السِّيَاسَةِ قَوَامُ الرَّعِيَّةِ» (الخوانساري، ١٣٣٨: ج ٢، ص ٣٨٤).

من وجهة نظر الإمام على (ع)، السياسة لا تعنى السلطة والقدرة والاستبداد والتحكّم والتجبر أبداً، بل تعنى التدبير الصحيح للشؤون في سبيل تقديم الخدمة للناس، وتحقيق العدالة وتوفير المجال للتربية. "في مصطلح التقريب بين المذاهب والأديان الإسلامية، والذي يتم تعريفه من خلال آراء علماء الإسلام، فإن الوحدة السياسية عبارة عن: تضامن المسلمين على مشتركات الدين الإسلامي في آماله وأهدافه، مع المحافظة على الحدود، باعتبارها كياناً واحداً." (المطهري، ١٣٨٣: ٢١٢؛ سبزيان، ١٣٨٦: ٦٥).

فِي الْعُدْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْفَظْ دِمَاءَنَا
وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ
ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقُّ مَنْ جَهَلَهُ وَيَرَعَوْيَ عَنِ الْعَيِّ
وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ». (نهج البلاغة الخطبة ٢٠٦)

بخلاف التفكير السياسي غير الديني الذي يعتبر
المصالح معياراً للحرب والسلام؛ الإمام (ع) يكره القتل
والحرب في كل الأحوال حتى في حالة تفوقه العسكري،
ويرحب بالسلام والتفاوض. من وجهة نظر الفقهاء: إذا
كان الكافر يعيش في سلام مع المسلم فلا يحق للمسلم
أن يهاجمه (المجوادي الآملي، ١٣٨٩: ج ٢، ص ٢٠).
يعني أنّ الكفار الذين رغبوا في التعايش مع المسلمين،
وصاروا محايدين واختاروا العيش والحياة السلمية، فاقبلوا
أنتم أيضاً. فإذا أمر القرآن الكريم بالتقارب والصلح
والإحسان والحياة السلمية مع غير المسلمين الذين لا
يعتدون على حقوق المسلمين، فهذا يدل على التقارب
والصلح بين المسلمين بطريقة أولى.

الوحدة بين البلدان الإسلامية

إنّ للإسلام نظرة خاصة إلى المجتمع الإسلامي. يعتبر
الإسلام أعضاء المجتمع الإسلامي، بسبب وحدتهم في
الله، والنبي والدين وما إلى ذلك، جسداً واحداً يتحرك في
اتجاه واحد للوصول إلى الوحدة والانسجام. فالوحدة
الإسلامية هو تضامن المسلمين ووحدة أتباع الديانات
المختلفة رغم الاختلافات الدينية ضد أعداء الإسلام
والأجانب. يقول علامة شرف الدين: "السياسة تسببت
في انفصال الشيعة عن السنة، كما يجب أن تسبب
وحدة الشيعة والسنة". (شرف الدين، ١٣٥٤، ج ١،
ص ٢٦١) ومعنى قول شرف الدين هو أن السياسة
الاستعمارية ومكائد الأجانب قد فصلت الطوائف
الإسلامية، بما في ذلك الشيعة والسنة، ويجب على
السياسة الإسلامية توحيدها لمواجهة العدو المشترك.
لقد وصف القرآن الكريم، الأنبياء وأتباعهم أمة
واحدة (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء: ٩٢) الذين كانوا يتبعون الهدف
الواحد وقد كان برنامجهم وهدفهم واحداً (الطباطبائي،
١٣٧٦: ج ١٤، ص ٢٢١) وهذا الأمر قابل للاحتذاء

بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (آل
عمران: ٦٤).

وفي مكان آخر، يقترح القرآن الكريم، الصلح بين
الدولة الإسلامية ودولة الكفر: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ
فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).
(الأنفال: ٦١) ويستنبط من القرآن الكريم أنه يقبل
الصلح والمسالمة كلما لم يهاجم الكفار على المسلمين،
لأنه إذا هاجموا عليهم وقتلوا المسلمين ونهبوا أموالهم، فإنه
يجب على المسلمين القتال. يقول القرآن الكريم: (فَلَا تَهِنُوا
وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ
أَعْمَالُكُمْ) (محمد: ٣٥). كما يقول القرآن الكريم: (يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة: ٢٠٨)، تخاطب
هذه الآية المومنين: (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ)، إنّ لكلمة
«السلام» مشتقات كثيرة من المجرّد و المزيّد، لكنّ القاسم
المشترك لها هو السلامة من الأضرار والخلل والنقص
والعيوب الظاهرية والباطنية". (راغب الأصبهاني،
١٣٧١: ٤٢١).

منذ بداية نشأة الحكومة الإسلامية في المدينة المنورة،
كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يرسل جماعات
دعوية وسياسية إلى أقاليم من العالم ويخبر رؤساء الدول
على برسلته وأهدافه السماوية؛ فبعث برسالة إلى ملك
الحبشة، وقيصر روما، وسيد مصر، وحاكم بلاد فارس،
و... بكل احترام، فقدّم لهم الإسلام وطلب منهم قبول
الإسلام. واقتدى الإمام على بالرسول (ص) في مسألة
الحياة السلمية والعلاقات الطيبة على أساس القسط
والعدل والإحسان مع كل الحكومات والأمم التي لا
تسعى إلى الفتنة والعدوان والقمع. يقول الإمام على
(ع): «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَالطَّفَّ
بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَعْتَبِمُ أَكْلَهُمْ، فَاهْتَمَّ
صِنْفَانِ: إِمَّا أَحَ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي
الْحُلُقِ» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣)؛ أيضاً من كلام له (ع)
وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربه
بصفين: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ
وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ

والتابعة، لأنهم مع وجود الاختلاف الزمني والبيئي، كانوا يسرون كلهم في خط التوحيد ومكافحة الشرك ودعوة الناس إلى التوحيد والحق والعدالة.

فالإمام علي (ع) يركز على التضامن مع السواد الأعظم، أي العدد الكبير من المسلمين، وَجُنِبَ الأحادية في التفكير، ويقول «وَالزُّمُومَا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّادَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّادَّ مِنَ الْعَنَمِ لِلذَّبِّ». (نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧) على هذا، يوفر الاتحاد بين الدول الإسلامية قوة حقيقية يمكن أن تكون دعماً قوياً للمسلمين في المواجهات الثقافية بين الحضارات.

الوحدة والتضامن السياسي بين المجموعات الإسلامية

لقد ذكر الله تعالى في القرآن، بأن من تولى الله ورسوله والمؤمنين، لهم الغلبة على من عاداهم، لأنهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون على حزب الشيطان. يخاطب الله تعالى المؤمنين ويقول (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (المائدة: ٥٦). "وفي الساحة السياسية-الاجتماعية، يجمع الله المؤمنين تحت عنوان حزب الله، كما يؤيد الأحزاب الأخرى كلما كانت متمشياً مع هذا الحزب، لأن الله تعالى يذكر اسم حزب الشيطان مقابل حزب الله" (المجادلة: ٢٢-١٩) وهذه المجموعات والجماعات المختلفة من الموحدين، بإمكانهم أن يصلوا إلى الوحدة والاتحاد من خلال إشراف ومراقبة القائد الذي تم اثبات مشروعيته من جانب الله تعالى. وإذا كانت الجماعات والمجموعات، متصفة بالإيمان الراسخ والتقوي والعمل الصالح والوحدة والتضامن التام والوعي والعلم والاستعداد الكافي، فهم ينجحون في كل المجالات" (المدرسي، ١٣٧٨: ج ١٥، ص ١٩٧).

فالوحدة في الشؤون الاجتماعية والسياسية لا يعني اضمحلال الآراء والأفكار وتوحيدها، بل يقف كل شخص على آرائه ومعتقداته، بل يبحث الكل وراء المشتركات. من الناحية العقلية، فالوحدة لاتعني توحيد الأديان القائمة، أو حتى أخذ قواسم الأديان ونبد اختلافها، بل المقصود منها مراعاة القواسم المشتركة بين جميع الطوائف والمذاهب الإسلامية، مثل الإيمان بالله الواحد والنبى(ص) والكتاب الإلهي والقبلة المشتركة والإيمان بالبعث والأحكام الإسلامية مثل الصلاة

والتضامن مع وجود الاختلاف الزمني والبيئي، كانوا يسرون كلهم في خط التوحيد ومكافحة الشرك ودعوة الناس إلى التوحيد والحق والعدالة.

فالإمام علي (ع) يركز على التضامن مع السواد الأعظم، أي العدد الكبير من المسلمين، وَجُنِبَ الأحادية في التفكير، ويقول «وَالزُّمُومَا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّادَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّادَّ مِنَ الْعَنَمِ لِلذَّبِّ». (نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧) على هذا، يوفر الاتحاد بين الدول الإسلامية قوة حقيقية يمكن أن تكون دعماً قوياً للمسلمين في المواجهات الثقافية بين الحضارات.

وفي العصر الراهن ومنذ تشكيل الاتحاد الأوروبي، حاولت الحكومات الإسلامية أن تحذو حذو هذا الاتحاد في ظل نظريات التقارب في طريق الوحدة والتضامن. ومع ذلك، فإن خطط التكامل المقترحة لم تُحَقِّقِ الكثير من النجاح الناجح. و"قد ولد بعض من هذه المؤسسات التي أُسِّسَتْ داخل البلدان الإسلامية ميتاً، مثل مجلس التعاون العربي، لأنّها لم تتح لها الفرصة لأن تقوم بالإجراء العملي لتحقيق أهدافها. كما توقّف بعض مثل الجمهورية العربية المتحدة والاحاد العربي، بعد زمن قليل، وبعض آخر مثل منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية ومجموعة D8 ومنظمة التعاون الاقتصادي(إيكو) قد واصلت نشاطاتها ببراء النجاح في المستقبل.لم يتمكن مجلس التعاون الخليجي الذي تم إنشاؤه في الأصل بهدف مواجهة جمهورية إيران الإسلامية، من تحقيق هدفه الواضح المتمثل في تحقيق الوحدة بين أعضائه الستة، وعلى الرغم من استمرار أنشطته، فهناك اليوم خلافات عميقة الجذور بين بعض أعضائها". (ولايي، ١٣٨٩: ١٨١ - ١٥٠).

واقع الأمر أنّ هناك موانع كثيرة مثل الاستبداد الداخلي وعدم الثبات السياسي والقومية المتطرّفة والتنافسات الإقليمية والاستعمار الخارجي والصهيانية في سبيل التقارب في العالم الإسلامي. فالموانع المتعدّدة تحول دون الوصول إلى تقارب هذه الدول، بحيث لا تقدّر النظريات السائدة حول التقارب علي مواجهة هذه

من الوحدة والتقارب ليس له قيمة جوهرية وغير مرغوب فيه. بدلاً من ذلك، فإن المحور والهدف المقدس هو الذي يعطي قيمة وفضلاً للوحدة والتقارب، بمعنى أنّ الوحدة والتقارب، أداة ومثابة سيف ذي حدّين، فكلما أُسْتُخِدِمَ التقارب في سبيل الحق كان مطلوباً، ويجب على الجميع أن يحصلوا عليه وبعد الحصول، يجب عليهم أن يحفظوه. وإذا تحقّق في سبيل الباطل، كان ضارّاً، وإزالة هذه الوحدة والاتحاد واجب ولازم على الجميع. هذه الآية الشريفة تؤيد هذا الإدعاء: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: ٢). وبما أنّ الأمة الإسلامية قد تكوّنت من الفرق وطوائف متعددة، فإن مبادئ الوحدة تعطي عمقا واتجاها خاصا لقضية الوحدة السياسية، بحيث أن فهم الوحدة السياسية يتطلب فهم ومعرفة القضايا الأساسية في هذا الصدد. وفيما يلي بعض أسس الوحدة اللازمة لتحقيق وحدة المسلمين:

الإيمان

لقد دُكِرَ أصل الإيمان في القرآن الكريم ونهج البلاغة كراراً ومراراً، وذلك لأهميته البالغة. ففي سورة الشورى يعتبر القرآن دور الإيمان أساساً ومهماً للمؤمنين الجدد في مكة بحيث لا يمكن إنكاره: (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الشورى: ٣٦). وعكس هذه الفئة هم الذين يجادلون في آيات الله ويخالفون الحقائق وذلك بسبب حب الدنيا والتعلق بمتاعها الزائلة. لقد أشار القرآن الكريم في آية ١٠٣ من سورة آل عمران، إلى الإيمان بالله تعالى والتمسك به، وطلب من المؤمنين أن يتذكروا الماضي بحسب وصية الله، وأن يعتبروا من العداوة التي كانت بينهم وأن يعلموا أن الله لم يخلق الوحدة والألفة بينهم إلا ببركة الإيمان.. أيضاً في آيات ٦٢ و ٦٣ من سورة الأنفال، يشير إلى قضية الوحدة والأنس والألفة بينهم في تبين نصرته النبي (ص) ويعتبر مسألة الوحدة بينهم عاملاً أساسياً في هذا المجال. "حسب قول بعض المفسرين، كان تأليف القلوب هذا، قد قرب المومنين من بعضهم البعض وأثار الوحدة بينهم(القراي، ١٣٨٣ ج٤،

والصيام والحج والزكاة، ويجب على الجميع أن يتعاونوا مع بعضهم البعض بالتعاطف"(المطهري، ١٣٨١: ج٢، ص٢٦). " فعلى هذا، المقصود من الوحدة، هو إزالة الموانع الزائفة والاصطناعية والتجنب من الشؤون التي تؤدي إلى التفرقة والحقد والعداوة بين المؤمنين. إنّ كل الأديان والمذاهب قبل الإسلام أكدوا على الوحدة ونهوا عن التفرقة "(ينظر: الطبري، ١٣٧١: ج١٠، ص٢٥، الطباطبائي، ١٣٧٦: ج٢، ص٢).

يتطرق الإمام علي (ع) إلى موضوع "وحدة صفوف المسلمين" فيقول: (فِي أَيَّكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيَمَا تَكْرَهُونَ مِنْ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيَمَا تُحِبُّونَ مِنْ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّنْ مَضَى، وَلَا يَمُنُّ بِقِيٍّ (نهج البلاغة، ١٧٦). من وجهة نظر الإمام علي (ع)، غاية السياسة، هو النمو والتعالي للشخص والمجتمع. لقد سعى الإمام علي (ع) أن يوفر مجال التعالي للإنسان من خلال الحصول على أهداف سياسته. فمن منظور الإمام علي (ع) الغاية من السياسة هو نمو الفرد والمجتمع. سعى أمير المؤمنين علي (ع) إلى تحقيق أهداف سياسته وتوفير الأرضية للنمو الإنساني. لقد أراد السياسة لنمو الإنسان - الفرد والمجتمع - وليس الإنسان للسياسة. فعلى هذا صرح: "إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَيُّمُ اللَّهِ لِأَنْفُسِكُمْ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلَا تُفُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مِنْهَلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهَا" (نهج البلاغة، الخطبة ١٣٦). سعى الإمام علي (ع) أن يوفر المجال لأن يحظو الناس إلى النمو والتعالي ويتمتعوا بالجنة بالوعي والبصيرة وبالاختيار والإرادة من خلال تحقيق الأهداف المذكورة للسياسة «لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ تَمَنُّ إِلَّا الْجَنَّةُ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا» (نهج البلاغة: الحكمة ٤٥٦). فمن هذا المنطلق، لقد تبع الإمام علي (ع) في سياسته، توفير المجال للتعالي ونمو الناس وقال: «فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَدَاقِهِ مَرِيهٍ» (نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦).

مبادئ الوحدة السياسية للمسلمين

من وجهة نظر القرآن الكريم ونهج البلاغة، فإن أي نوع

ص ٣٥٧) وإلا كان هولاء أعداء متعطين إلى دم بعضهم البعض قبل البعثة وكانت لهم منازعات طويلة إثر وجود الحقد والعداوة بينهم. من منظار الإمام علي (ع) يُبنى حقيقة الإيمان على أربعة أصول: "الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد" (نهج البلاغة: الحكمة ٣١) والكفر الذي يكون في النقطة المقابلة له، يُبنى على أربعة أصول «والكفر على أربع دعائم: على التعمق والتنازع والتزيع والشقاق» (نفس المصدر: الحكمة ٣٢). يعتبر الإمام علي (ع) إثارة الاختلاف ورفع الوحدة من فروع الكفر ويعرف الإيمان كطريق للوصول إلى الوحدة والاتحاد. ومن كتاب له (ع) كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين «وكان بدء أمرنا أننا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولانستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا نستزيدوننا الأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء. فقلنا تعالوا نداول ما لا يدرئكم اليوم بإطفاء النائرة وتسكين العامة، حتى يشتد الأمر ويستجمع فتوى على وضع الحق».

وقد عبّر الإمام علي (ع) عن هذا الرجوع إلى الله تعالى، بالرجوع إلى القرآن الكريم: «إنا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن، هذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا يد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال. ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله سبحانه وتعالى، وقد قال الله سبحانه (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول)؛ فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته. فإذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحق الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنحن أحق الناس وأولاهم بها». (نهج البلاغة، الخطبة ١٢٥). في خطبة ١٨، يعتبر الإمام علي (ع)، القرآن وشخصية النبي صلى الله عليه وآله كعامل اتحاد ووحدة المسلمين ويقول: «وإلههم واحد! ونبيهم واحد! وكتابتهم واحد! فأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه! أم هاهم عنه فعصوه!». لقد كلف الله النبي صلى الله عليه وآله وأله بأن يقول للناس حقائق الوحي: (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها وما أنت عليهم بوكيل) (الزمر: ٤١)، وهداهم إلى الصراط المستقيم (الشورى: ٥٢)؛ مدرسي، ١٣٧٨: ج ١٢، ص ٤١٣). وبما أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) كان مكلفاً بتفسير القرآن وتبليغه مع كونه رسولا (النحل: ٤٤)، فقد أزال الغموض والأخطاء في فهم القرآن التي كانت قد تكون سببا في التشتت والتفرقة.

أيضا في خطبة ٢٣١، الإمام علي (ع) كالصديق والنصير للنبي صلى الله عليه وآله، يعرف النبي صلى الله عليه وآله وأله والنبوة كعامل توسيع الألفة والاتحاد والوحدة والتضامن والاستمرار والبقاء. «فصدع بما أمر به وبلغ

التمسك بالقرآن الكريم والنبي (ص)

وبما أن قضية الوحدة قد تم التأكيد عليها أكثر في المدينة المنورة، وقد تمت الإشارة إلى القرآن الكريم في الآيات المدنية لحل الخلافات والانقسامات، لذلك اعتُبر القرآن أحد مكونات الوحدة السياسية. "لقد دعا القرآن الكريم كل المؤمنين إلى الاعتصام بحبل الله تعالى والاجتناب عن التفرقة والاختلاف: (واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران: ١٠٣). اختلف المفسرون على المقصود من حبل الله في هذه الآية، هل المقصود منه هو القرآن، أو السنة، أو الدين الإلهي، أو إطاعة الله تعالى، أو... هذه هي الصور التي قد ذكرت في تفسيره (الرازي، ١٣٦٧: ج ٤، ٤٦٠). كما هناك من يجعل مفهوم "حبل الله" شاملا لكل هذه المعاني (مكارم الشيرازي،

حفظ النظام، وبيّن لزوم وضرورة الحكومة ودورها في وحدة الأمة ويقول: «وَمَكَانُ الْقِيمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النَّظَامِ مِنَ الْحَرْزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ: فَإِنْ انْقَطَعَ النَّظَامُ تَفَرَّقَ الْحَرْزُ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَدَافِيرِهِ أَبَدًا» (نفس المصدر: الخطبة ١٤٦).

الفضائل والقيم الأخلاقية

لقد أكد القرآن الكريم على العمل بالقيم والفضائل الأخلاقية كأصل أصيل في حياة المؤمنين الجدد، وأضاف أنّ سيادة العدالة والتقوى تؤدي إلى تقليل الاختلاف والمنازعة وسيطرة الظلم والاعتداء على الساحة الشخصية للآخرين، وتؤدي إلى الاختلاف والمنازعة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠) هذا الموضوع يدل على التأكيد على القيم والفضائل.

في هذا المجال، قد أمر القرآن الكريم بالمصالحة والصلح: (وَأَصْلِحُوا) (الأنفال: ١). الإمام علي (ع)، يمدح أصحاب التقوى والورع ويقول: «لَا يَقْبَلُ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقْبَلُ مَا يَتَقَبَّلُ» (نهج البلاغة، الحكمة ٩٥). من منظار الإمام علي (ع)، إنّ التقوى يقع في الصف الأول من القيم، الذي يعتبر بنية تحتية لكثير من الفضائل، لذلك، إنّ التقوى، تعتبر معياراً لتقييم المؤمنين وتكريمهم. لتقوى يؤدي إلى المحبة والمودة بين المؤمنين وتغلق الطريق بوجه نفوذ الشيطان لإثارة التفرقة والخصومة وتهدي المجتمع الإسلامي إلى المودة والرحمة، وفي النهاية تسوق الأمة إلى الوحدة. الإمام علي (ع)، يخاطب في وصيته، الحسنين (ع)، ويعتبر المصالحة والصلح بين الناس أفضل من عامة الصلاة والصيام: «أَوْصِيكُمْ بِجَمِيعِ وَوَالِدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمْ (ص) يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ» (نفس المصدر: الكتاب ٤٧).

على الساحة السياسية، فإن المعيار الأسمى للإمام علي (ع)، هو العدل والعدالة، كما قال: «الْعَدْلُ يَصْغُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا» (نفس المصدر: الحكمة ٢٣٧)؛ الإمام علي عليه السلام، كان يشاهد كل شيء على أساس

رسالات ربه فلم الله به الصدق ورتق به الفتق وألف به الشمل بين ذوي الأرحام بعد العداوة الواغرة في الصدور والضغائن الفادحة في القلوب؛ فعلى هذا، استطاع المسلمون أن يسيروا على طريق الاتحاد والتعايش من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم والتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله.

إطاعة أولي الأمر والرجوع إليهم

بعض آيات القرآن الكريم، اهتم بالرجوع إلى أولي الأمر بالإضافة إلى الرسول صلى الله عليه وآله، حينما يتحدث عنه ويدعو الناس إلى إطاعته بشكل مباشر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: ٥٩) وحينما آخر، قد قال عنه بشكل غير مباشر وباستخدام تعبير "الحبل" مثل الآية الشريفة " (...) إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ" (آل عمران: ١١٢) (فيض الكاشاني، ١٩٩٥: ج ١، ص ٣٧١؛ الحسيني الإسترآبادي، ١٩٨٩: ١٢٨؛ البحراني، ١٩٩٦: ج ١، ص ٦٧٦). يقول أمير المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة: «أَنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالزُّمُوا سَمْتَهُمْ وَاتَّبِعُوا أَنْزَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوَكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوَكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإِنْ مَهَضُوا فَامْهَضُوا وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضَلُّوا وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا» (نهج البلاغة، خطبة ٩٧). أيضاً يقول الإمام علي (ع) السلام في هذا الشأن: «وَحَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّهَاتِهِمْ، إِذْ لَمْ يَتْرَكُوهُمْ هَمَلًا بَعِيرٍ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ» (نفس المصدر: الخطبة ١).

يرى الإمام (ع) الرجوع إلى أولي الأمر وإطاعتهم، من واجبات دين الإسلام وطريقاً لنجاة الأمة من التفرق والتحير. في البصيرة الإلهية للإمام علي (ع)، الحكومة الإسلامية تلعب دوراً هاماً ومؤثراً في إيجاد الوحدة والانسجام للأمة، لأنّ الأمة التي تسير في طريق التكامل والترقي من خلال الهدف الإلهي، يجب عليها أن تتمسك بالقائد الذي يكون مظهراً من الهدف الإلهي المقبول ودليلاً للتحرك والحيوية. يشير الإمام علي (ع) إلى السياسة التي يجب على الحاكم أن يستخدمها لأجل

العدالة، وكان يقيس كل شيء بميزان العدالة. إنه جعل العدالة مقياس السياسة، وليست السياسة مقياس العدالة.

من وجهة نظر الإمام علي (ع)، العدالة، أصل ومبدأ يعطي المجتمع القوام والاستحكام، ويوصله إلى الاعتدال وتُضَمَّنُ الصحة والسلامة والراحة والهدوء للمجتمع: «الْعَدْلُ سَائِسٌ غَامٌّ» (نفس المصدر) وأيضا قال: «خَيْرُ السِّيَاسَاتِ الْعَدْلُ» (الخوانساري، ١٣٦٠، ج ٣، ص ٢٢٠). للعدالة الإسلامية، مكانة عالية في ثقافة الإمام علي (ع)، وهو يرى أنّ بين الوحدة والعدالة، صلة وثيقة، وأنه لا يمكن الوصول إلى العدالة إلا من خلال الوحدة. كما أنّ الإمام يقول في خطبة ٢١٦: "فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهُ عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَاهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الرِّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَتَبَسَّتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَا أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرِعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ التُّفُوسِ» (نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦).

حفظ الحرية

كان حفظ الحرية، هدفا أساسيا وهاماً في سياسة الإمام علي (ع). برؤية قائد الأحرار، يتمتع كل انسان بحق الحرية الذاتي ولم يعط أحدا الحق لأن يأخذه أو يحده. فقد تكوّنت حكومة الإمام علي (ع) من خلال الانتخاب والاختيار التام للناس ولم يسمح الإمام (ع) لشخص أن يجبر في البيعة أو يقع تحت الضغط والنفوذ والسيطرة وتحشد الحرية التي كانت كروح لحكومته. قال الإمام علي (ع) عن الحرية في بيعته: «وَبَابِعْنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخْتَارِينَ» (نفس المصدر: الكتاب ١)؛ ويقول في مكان آخر: "«وَأَنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَاعِ بِعَيْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ» (نفس المصدر: الكتاب ٥٤).

الإمام علي (ع)، منذ بداية حكومته، حفظ حرية

الجميع، وضمّن حرية المعارضين والمخالفين له ولم يسمح لأحد أن يعتدى عليها وقد تابع هذه السياسة في حكومته. إنه كان يشاهد رسالته ومهمته في أن يرشد الناس من خلال تحرير الناس من أغلال الأسر والذلة وسلاسل العبودية وتوفير الأجواء المختلفة من الحرية. قال الإمام علي (ع)، مبيّناً سياسته هذا: «وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ، وَأَخَطْتُ بِجُهِدِي مِنْ وَرَائِكُمْ وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّي الدُّلَى، وَخَلَقْتُ الضَّمِيمَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٥٩)؛ في حكومة الإمام علي (ع) كان الناس يتمتعون بأي نوع من الحرية السياسية والاجتماعية، وكان يمكن لأي فرد من المجتمع أن يشكو اليه من أيّ رجال الأعمال ومن أعلى مسؤول الحكومة وحاكم المجتمع، ويعلن أخطائه بحرية ولا يحسّ بالخطر ويرى نفسه في الأمان التام من تبعاتها.

لقد ذكر الإمام علي (ع) في معاهدة مالك أشرت: "سمعت أنا من رسول الله تعالى مرارا يقول: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤَخِّدُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقَّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ» (نفس المصدر: الكتاب ٥٣)؛ وقد أراد الإمام علي (ع) السياسة في هذا الاتجاه، وفي مجال العمل أقرها أيضاً بنفس الطريقة.

يكتب جورج جورداق المسيحي في هذا الشأن: "ويقتر الإمام علي بحق الشعب في الانتخاب والعزل، وفي القول والعمل، وفي العيش حياة سعيدة، ومن ثم يقيم المساواة بينهم جميعا في الحقوق والواجبات، ولا يضع حدودا لهذه الحرية إلا إذا كانت مصلحة الشعب تقتضي مثل هذه الحدود.

ونحن إذا تابعنا سيرة الإمام (ع) بين الناس، ألفيناه لا يعارض بتصرفاته ودستوره هذا المفهوم للحرية في كثير أو قليل.

وقد طبّق هذا المفهوم في إقامة الحقوق العامة، ورعاها بين أصحابه وأعدائه على السواء. (الجرداق، ١٣٤٤: ج ١، ٢٣٢-٢٣٦). ولما تردّد أصحابه في قضية الحكمية، شكاهم الإمام، ودكرهم بأرائه التحريرية، وقال: «وَأَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ» (نهج البلاغة: الحكمة ٢٠٨)؛ الإمام علي (ع) أعطى الحرية القيمة ولم يمنعها من أي شخص، وحفظها كهدف أساسي وهام

الإسلامي. في الظروف الحساسة الحالية، على أساس المكانة الخاصة للإمام علي (ع) بين المسلمين منهم الشيعة وأهل السنة، والدور المنهجي له في فترة الاختلافات بعد النبي صلى الله عليه وآله، إن آراء إمام علي (ع) وسيرته تؤدّي إلى حلّ الخلافات والاتحاد والوحدة بين الأمة الإسلامية، وتخرج الأمة الإسلامية التي قد إصيّبت بالخلافات والإختلافات الشديدة والتفرق السياسي، من هذه الأزمة.

الأفكار والآراء المعتدلة للإمام علي (ع) والاجتناب عن الإفراط والتفريط، توفرّ المجال للوحدة بين المسلمين، وتضيق المجال على المجموعات القشرية والمتعصبة. على أساس آراء وسيرة الإمام علي (ع) في نهج البلاغة، يجد المسلمون مسارا جديدا للاتحاد والوحدة والتضامن والانسجام ويحصلون على العزة والعظمة من خلال إصلاح العلاقات مع المجتمعات غير الإسلامية وإثارة الاتحاد والوحدة والتضامن والانسجام السياسي بين البلدان الإسلامية وتوفير المجال في سبيل الوحدة السياسية بين المجموعات والأحزاب والمذاهب والأديان الإسلامية. بالإضافة إلى هذا، لقد اهتمّ الإمام علي (ع) بالتمسك بالقرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله والرجوع إلى أولي الأمر وإطاعتهم وتتبّع الفضائل والقيم الأخلاقية وحفظ الحرّية كأهمّ الأصول والمبادئ للوحدة السياسية للمسلمين وأكد عليها. لأنه كان يعتقد أنه في هذه الظروف، يتحقّق الاقتدار والعزّة والكامل المادّي والمعنوي للأمة الإسلامية.

في سياسته. بالإضافة إلى هذا، الاستشارة والشورى في السياسة والاجتناب عن الاستبداد، من أهمّ الشؤون في السياسية الإدارية للإمام علي (ع). كان الإمام علي (ع) ملتزماً بالشورى والاستشارة في جميع الشؤون، مثلما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ملتزماً بذلك، وكان يعلمّ ولاته أن يلتزموا بهذا الأصل أيضا. لقد كتب قائد الأحرار، الإمام علي (ع) رسالة إلى قادة جيشه، وقال: «أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لَا أُخْتَجَزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أُطَوَى دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ» (نهج البلاغة: الكتاب ٥٠).

الإمام علي (ع)، كان يهتمّ بالشورى والاستشارة ويعطيها القيمة وأصرّ على أن لا يجتنب الناس عن إبداء الآراء، كما أنه قال في حرب صفين ضمن خطبة ألقاها عن الحقوق المتبادلة للناس والحكّام: «فَلَا تُكْفُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ» (نفس المصدر: الخطبة ٢١٦).

الخاتمة و الاستنتاجات

إنّ الوضع الحالي الخطير للمسلمين والبلدان الإسلامية، يحكي عن أنه ليس للمسلمين آلية خاصة لتحقيق الشعار الدائم للإسلام يعني الوحدة والتعايش السلمي. الاختلافات والمنازعات السياسية بين البلدان الإسلامية والقتل وإسالة الدماء بين المسلمين تتطلّب من المذاهب والأديان والأفكار الدينية المختلفة، القيام بنجاة المسلمين من هذه الأزمة من خلال إعادة النظر في آرائهم السياسية والرجوع إلى الأصول والمبادئ للدين

المصادر

ابن قتيبة دينوري، أبو محمد (١٣٦٨)، الإمامة والسياسة، تحقيق علي الشيرازي، بيروت، دار الأضواء.
ابن المنظور، محمد بن مكرم (١٣٦٣)، لسان العرب، قم، أدب الحوزة.
ابوالفتوح الرازي، حسين بن علي (١٣٦٦)، روض الجنان وروح الجنان، مشهد، مؤسسة الأبحاث والدراسات الإسلامية، عتبة القدس الرضوية.
بحراني، سيد هاشم (١٣٧٤)، تفسير الزهراء في تفسير القرآن، طهران، مؤسسة البعثة.

القرآن الكريم، ترجمة مهدي إلهي قمشه اي (١٣٨٠)، قم، فاطمة الزهراء.
إبراهيم خاني، ليلاء؛ الأسدي، سيد صالح؛ إبراهيم خاني، علي رضا (١٣٩٣)، «الوحدة من رؤية الإمام علي عليه السلام»، اللجنة الدولية للثقافة والآراء الدينية، مركز قيادة الهندسة الثقافية لمجلس الثقافة العامة، محافظة بوشهر. [بالفارسية]
ابن الفارس، أبو الحسن أحمد (١٣٦٢)، معجم مقاييس اللغة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي.

شرف الدين، عبد الحسين (١٣٥٤)، الاجتهاد أمام النص، ترجمة: علي دواني، الطبعة ٢، المكتبة الإسلامية الكبرى.

[بالفارسية]

الطباطبائي، سيد محمد حسين (١٣٧٥)، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الخامسة، قم، دار النشر الإسلامي لجامعة مدرسي الحوزة العلمية، قم.

الطبري، دبو جعفر محمد بن جرير (١٣٧٠)، "جامع البيان في تفسير القرآن"، بيروت، دار المعرفة.

الطبرسي، فضل بن حسن (١٣٧٢)، "مجمع البيان في تفسير القرآن"، طهران، دار ناصر خسرو.

عنايت، حميد (١٣٥١)، "أصول الفلسفة السياسية في الغرب"، الطبعة الثانية، طهران، دار النشر لجامعة طهران. [بالفارسية]

الغزالي، محمد (١٣٨٣ش) مبادئ الوحدة الفكرية، الفقهية والثقافية للمسلمين، المترجم: سليمي، عبدالعزيز، مترجم، طهران، نشر احسان، الطبعة الأولى.

فيض كاشاني، ملا محسن (١٣٧٧)، "تفسير صافي"، تحقيق: سيد محسن الحسيني الأميني، طهران، دار الكتب الإسلامية.

القزائي، محسن (١٣٨٣)، تفسير النور، طهران، "المركز الثقافي لدروس من القرآن الكريم". [بالفارسية]

المكارم الشيرازي، ناصر (١٣٧١)، "التفسير المثل"، الطبعة العاشرة، طهران، دار الكتب الإسلامية. [بالفارسية]

المدرسي، سيد محمد تقی (١٣٧٧)، من هدي القرآن، طهران، دار محيي الحسين.

المطهری، مرتضی (١٣٨٣)، "ست مقالات"، الطبعة السابعة عشر، طهران، دارالنشر صدرا. [بالفارسية]

_____ (١٣٨١)، "مجموعة الكتب"؛ "العدل الإلهي"، طهران، صدرا. [بالفارسية]

_____ (١٣٧٧)، "المجتمع والتاريخ"، طهران، دار النشر صدرا. [بالفارسية]

ولابتي، علي أكبر و سعيد الحمدي، رضا (١٣٨٩)، "تحليل تجارب التقارب في العالم الإسلامي"، مجلستان فصليتان

بمخيتان للعلوم السياسية لجامعة الإمام الصادق عليه السلام، دورة ٦، رقم ١، صص ١٨٠-١٥١.

[بالفارسية].

البخاري، محمد بن اسماعيل (١٣٦٥)، صحيح البخاري، شرح وتحقيق قاسم شماعي الرفاعي، بيروت، دارالقلم.

بي آزار الشيرازي، عبدالكريم (١٣٥٧)، "تضامن وانسجام المذاهب الإسلامية"، مقالات دار التقريب، طهران، أمير كبير. [بالفارسية]

جوادى الآملى، عبد الله (١٣٧٢)، " الشريعة في مرآة المعرفة"، قم، مؤسسة رجاء الثقافية.

_____ (١٣٧٦)، " الحكمة النظرية والعملية في نهج البلاغة"، تحقيق حسين الشفيعي، طبعة ١٠، قم، مركز نشر اسراء.

جوردق، جورج (١٣٤٤)، " الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية"، ترجمة سيد هادي خسرو شاهي، طهران، فراهاني. [بالفارسية]

الحسيني الأسترايادي، سيد شرف الدين (١٣٦٧)، تأويل الآيات الظاهرة، قم، جامعة مدرسي الحوزة العلمية بقم.

خوانساري، جمال الدين محمد (١٣٣٨)، شرح غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق ميرجلال الدين الحسيني أرموي، الطبعة الثالثة، طهران، دار النشر لجامعة طهران.

دهخدا، علي أكبر (١٣٥٢)، "قاموس دهخدا"، طهران، منظمة قاموس دهخدا. [بالفارسية]

الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد (١٣٧٠)، "المفردات في ألفاظ القرآن الكريم"، بيروت، دارالعلم.

رباني خواه، أحمد و بورمحمدی، مرضية (١٣٩٥)، "طرق إثارة الوحدة للإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة"، مجلة شهرية "العلوم الإنسانية الإسلامية، ١" (١١).

[بالفارسية]

الرضوي، سيد حنان (١٣٩٠)، "الوحدة والانسجام الإسلامي من رؤية القرآن الكريم ونهج البلاغة" "فكرة التقريب"، رقم ٢٩. [بالفارسية]

سبزيان، علي أكبر (١٣٨٦)، "منشور الاتحاد الوطني والانسجام الإسلامي"، قم، دار النشر خادم الرضا (ع).

[بالفارسية]

السيد الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (لاتا)، نهج البلاغة للإمام علي (ع)، ترجمة ناصر مكارم الشيرازي، قم، مؤسسة الأبحاث والدراسات والنشر

لمعارف أهل البيت عليهم السلام.